بسم الله الرحمن الرحيم
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

الاربعاء ٢٧ شعبان ١٤٤٣ هـ / ٣٠ آذار ٢٠٢٢ م العدد ٢٢٠

نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث و خطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ المسلمون وحرب الجيل الخامس... العراق انموذجاً

الإمام المهدي (عليه السلام) في القرآن(١) الكريم

توجد آيات كثيرة فُسِّرت بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) وظهوره الميمون كقوله تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣] فان هذا الوعد لم يتحقق إلى الآن ووعد الله صدق فلابد أن يأتي اليوم الذي يتحقق فيه هيمنة الإسلام على جميع الأديان والملل الأخرى بظهور الإمام المهدي (عليه السلام). وكقوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥] فان هذه الوراثة لم تحصل إلى الآن فلابد أن تتحقق في اليوم الموعود. وكقوله تعالى ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤] والآية ظاهرة في تحقق هذا النزول في كل ليلة قدر وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في زمان حضوره هو من تتنزل عليه الملائكة والروح ثم من بعده على الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، فلابد من استمرار وجودهم لأن الملائكة لا تتنزل على غير المعصومين (عليهم السلام) وقد حفظ وجودهم باستمرار حياة الامام المهدي (عليه السلام).

(١) خاطرة تحدث بها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه الشريف مع الضيوف الكرام بمناسبة زيارة النصف من شعبان ذكرى ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) عام ١٤٤٣ الموافق ١٨ /٣ /٢٠٢٢.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥] العفة والحياء يرفعان قيمة المرأة(٢)

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٢-٢٥] يقع هذا المقطع ضمن مجموعة من الآيات تتحدث عن فصل من فصول حياة النبي موسى كليم الله (صلوات الله وسلامه عليه) عندما هرب من مصر خائفاً يترقب عندما أن علم بأن فرعون وزبانيته يبحثون عنه لقتله بعد أن ذاع خبر قتله للقبطي المعتدي على مظلوم من بني إسرائيل فتوجه إلى مدين التي تقع قرب رأس خليج العقبة فراراً من ظلم فرعون لأنها كانت خارج سلطة الفراعنة.

وبعد مسيرة شاقة لعدة أيام بلا زاد ولا راحلة ولا دليل يرشده إلى الطريق مع الخوف والحذر من ملاحقة جنود فرعون الطاغية وصل (عليه السلام) إلى مدين وجلس يستريح عند بئر ماء كان الناس يستخرجون منه لسقاية أغنامهم ولحمله إلى دورهم، ولفت انتباهه وجود امرأتين تنحتّا جانباً ويمنعان غنمهما من ورود الماء لكيلا يختلطا بالرجال الأجانب، فسألهما عن سبب عدم تقدمهما لاستقاء الماء وقال ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ولم يُزِد على ذلك في التكلم مع الأجنبية، والخطب يقال للأمر العظيم، وهذا يعني أنه استعظم في نفسه وهو الغيور الرحيم الحنون خروج المرأتين للسقي وعدم مساعدة الناس لهما خلافاً لما تقتضيه المبادئ الإنسانية من تكريم المرأة فقالتا: ان طريقتنا عدم مزاحمة الرجال على الماء فننتظر حتى ينتهوا من استخراج الماء وسقي أغنامهم، وعلّلتا خروجهما بأنه ليس لنا من يقوم بهذا العمل وأبونا(٣) شيخ كبير لا يستطيع السقي وليس خروجنا لعين الماء تنزهاً أو عبثاً أو لملئ أوقات الفراغ، ولو لم يكن أبوهما -وهو النبي شعيب (عليه السلام)- شيخاً كبيراً لما استنكف من الخروج للعمل ورعي الأغنام ككثير من الأنبياء غيره. فأعجب موسى (عليه السلام) بعفاف المرأتين وثارت غيرته عليهما وغضب من هؤلاء الناس اللذين لا يساعدون الضعيف ولا يراعون الحرمات، فتقدّم نحو البئر وأخذ وحده باستخراج الماء فسقى أغنام المرأتين وزودهما بالماء وذهبتا، وأوى (عليه السلام) إلى الظل ليستريح من حرارة الشمس مما يكشف أن هذه الرحلة الشاقة كانت في فصل حار، كما أوى إلى الظل المعنوي وهو فضل الله تعالى وكرمه، ولم ينتظر من المرأتين ولا من غيرهما جزاءاً ولا شكوراً وإنما كان يعمل لوجه الله تعالى، ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] وأجمل طلبه إلى الخير مطلقاً ولم يذكر حاجته مفصلاً، هل هو الطعام ليسدّ(٤) رمقه؟ أم العمل ليضمن رزقاً من حلال وحياة كريمة؟ أم زوجة صالحة ليسعد معها؟ أم مزيد من القوة والقدرة على مساعدة الناس ونصرة المستضعفين؟ أم بسطة في العلم والحكمة؟ لأنه يعلم ان ما يختاره الله تعالى له خير مما يختاره هو لنفسه لأن ربّه أرحم به وألطف وأشفق عليه من نفسه.

وما أسرع ما استجاب الله تبارك وتعالى حيث عادت إحدى البنتين بسرعة -بقرينة استعمال الفاء وليس ثم- تدعوه للقاء أبيهما الشيخ ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]. مما يعطينا درساً في المسارعة الى مجازاة المعروف والإحسان وإن تبرع به صاحبه.

وتصف الآية بشكل رائع عفاف المرأة إذ تمشي على استحياء وذكر بصيغة نكرة ليُشعر بأنه أشدّ من الاستحياء المعروف لدى النساء بحسب ما تقتضيه طهارتها وعفتها وتجنبها لمحادثة الرجال الأجانب كما تجنبت مزاحمتهم على الماء من قبل لكنها بنفس الوقت مشية المرأة القوية الواثقة بنفسها غير المضطربة ولا المتلجلجة التي تغري الطرف الآخر بضعفها، وأوصلت دعوة أبيها وليس دعوتها فالنساء لا توجّه الدعوة للرجال ولا العكس، وعبّرت عنها ببيان واضح مختصر ليس فيه فضول ولا خضوع وابتذال وتغنّج، وشعر موسى بصدقها وحسن استجابة الله تعالى له وهو غريب جائع منهك لا حول له ولا قوة، وكان في نفسه اعتراض وتحفظ(٥) -كما يقال- على قولها ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ لأنه من كرام الخلق الذي لا يريدون من فعلهم الخير والأعمال الصالحة جزاءاً ولا شكوراً وإنما يبتغون رضوان الله تعالى،

التتمة في الصفحة الرابعة

(٢) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) لدى استقباله مجموعة الباحثات القرآنيات التابعة لمجمع المبلغات الرساليات في ختام المرحلة الثانية بإشراف سماحة السيد عبدالسلام زين العابدين يوم الجمعة ٢٢/شعبان/ ١٤٤٣ الموافق ٢٥ /٣ /٢٠٢٢.

(٣) ورد في رواية صحيحة عن البزنطي عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه شعيب النبي (الكافي: ٥ /٤١٤ ح ١) وتؤيده الأجواء الصالحة في الأسرة فلا وجه لتردد بعض المفسرين في ذلك.

(٤) كما في (نهج البلاغة: ٢ /٥٧ رقم الخطبة: ١٦٠) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (والله ما سأله الا خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض).

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤] المسلمون وحرب الجيل الخامس... العراق انموذجاً(١٢)

الآية من سورة المائدة التي تتكفل بشكل رئيسي تنظيم الأمة الإسلامية من الداخل ورسم علاقاتها مع الآخرين والتحذير من مكائد ودسائس أعدائهم.

وهذا الجزء من الآية يبين أن أعداء الإسلام سوف لا يتوقفون عن إشعال نار الحروب ضد المسلمين، وسوف يستمرون بتأجيج نيران الحروب على المسلمين بكل اشكالها ، وإمدادها بما عندهم من وقود مادي ومعنوي، للقضاء على هذا الدين العظيم الذي منّ الله تعالى علينا به كأعظم هبة للإنسانية لكن الله تعالى يخيّب مساعيهم ويبطل مكرهم، روى العياشي في تفسيره عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله في تفسير الآية (كلما أراد جبّار من الجبابرة هلكة آل محمد (صلى الله عليه وآله) قصمه الله تعالى)(١٣).

وشبّهت الحرب بالنار لأنها مثلها تلتهم وجودات الناس الجسدية والروحية بحسب نوع الحرب المستعرة.

ولعل تشبيه الحرب بالنار لأن بواعثها ودوافعها نيران في باطن الإنسان، كنار الحقد والحسد والتعصب والطمع والشهوة.

أو لأن هذه الحروب ستتجلى في حقيقتها نيراناً تحرق موقديها ومؤججيها ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]

وتشير بقية الآية إلى صفة أخرى راسخة في اعداء الاسلام وهي نشر الفساد في الارض ولعلها هي سبب اشعالهم المستمر للحروب، قال تعالى ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]

والسعي هو السير السريع، فهم يجتهدون في تدبير المكائد والخطط والفتن وهي كثيرة ومتنوعة لإفساد أهل الأرض حتى يسيطروا على العالم، ولكن الله تعالى لا يدعهم وشأنهم بل يخيب مساعيهم لأن الله تعالى لا يحب المفسدين لذا فانه تعالى ينصر عباده العاملين لإحلال الصلاح بدل الفساد بشرط أن يبادروا عمل المفسدين ولا يجاملونهم ولا يصانعونهم لأن المؤمن يُحبّ من أحبّ الله ويبغض من أبغض الله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ويشير هذا التعليل الى إن حرب الإسلام مع اعدائه هي حرب الصلاح على الفساد وليست حرباً عنصرية ولا قومية ولا طائفية ولا عرقية ولا لمصالح سياسية أو اقتصادية.

وقد تكفّل الله تعالى بأن يطفئ نار حقدهم وعدوانهم وحروبهم كلما أشعلوها ما دام المسلمون ملتزمين بما عاهدوا الله تعالى من التمسك بدينهم وأقاموا الإسلام في حياتهم ورجعوا الى ربهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١].

وقد صدقت الآية في إخبارها فيما يتعلق بالحروب التي أشعلها مشركو قريش واليهود وقبائل العرب فقد أطفأها الله تعالى ونصر رسوله (صلى الله عليه وآله) وأعزّ جنده.

والاعداء يعلمون هذه الحقيقة لأنهم درسوا أوضاع المسلمين وسيرة قادتهم وعرفوا أن سر انتصارهم هو التمسك بدينهم والإخلاص لربّهم، لذا فهم يعملون بكل ما أوتوا من إمكانيات ومنها تسخير عملائهم وادواتهم في بلاد المسلمين من اشخاص ومؤسسات وحكام لتمييع العقيدة في قلوب المسلمين وتمزيق وحدتهم وإذكاء الصراعات والخلافات بينهم بإثارة التعصب للانتماءات المختلفة السياسية أو العشائرية أو القومية أو المناطقية أو الطائفية، وإشاعة الفساد والانحلال، لذلك فانهم كلما تعرفوا على مزيد من الحق والقوة والحجة لدى المسلمين ازدادوا حقداً وعداءً وظلماً، قال تعالى في جزء سابق من الآية ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤]، لأنهم يعرفون أنه الحق وان سبب معاداتهم للمسلمين لأنهم على الحق.

إذن فتحقق وعد الله تعالى بإطفاء نيران حروبهم يتطلب وعياً واجتهاداً، وتضحية وثباتاً، ووعياً وبصيرة، لأن سنة الله تعالى جرت بدفع عدوان الناس على بعضهم وفسادهم في الأرض بمواقف شجاعة حازمة واعية من

المؤمنين وليس بمعجزات الا في حالات استثنائية تتطلبها كجعل النار برداً وسلاما على إبراهيم (عليه السلام)، قال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فمثلاً حرب التشكيك في العقائد وإلقاء الشبهات في الدين أو تشويه صورة قادة الإسلام أو التضليل ونشر الفساد والانحراف واجهها القرآن الكريم والمعصومون (عليهم السلام) بالحجج والبينات الدامغة الكافية لإطفاء تلك النيران، ولكن على المسلمين ان يتسلحوا بالعلم والمعرفة والتفقه في الدين والتدبر في تلك الحجج والبينات لينتصروا في تلك الحرب بنصر الله تعالى.

واذا غاب هذا الشرط لا تتحقق هذه السنة الإلهية لذا ترى الأعداء يحققون نصراً هنا أو هناك في فترات محدودة من الزمن لكن النصر النهائي يكون للمؤمنين، فالإشكال على الآية الكريمة بأننا نراها خلاف الواقع ناشئ من النظرة الضيقة المحدودة في أفق الزمن، وعدم فهم أهدافهم الحقيقية في السيطرة على العالم والتحكم بأمور البشر لنقيس على أساسها النجاح والفشل فانهم يقاسان على أساس تحقق الغرض وعدمه.

ومن علائم فشلهم ان الإسلام يغزوهم في عقر دارهم بمواجهة ناعمة ويستغيث كبراؤهم من ضياع هويتهم وثقافتهم ويقولون متهكمين ان أوروبا ستنضم إلى منظمة الدول الإسلامية عما قريب، وتقول احصائياتهم الأخيرة مطلع عام ٢٠٢٢ ان ثاني أكثر أسماء مواليد البريطانيين شيوعاً هو أسم (محمد).

ولعل جواباً آخر يتحصل من قول السيد الطباطبائي (قدس سره) (والآية على ما يدل عليه السياق تسجّل عليهم خيبة المسعى في إيقاف النيران التي يوقدونها على دين الله سبحانه، وعلى المسلمين بما انهم مؤمنون بالله وآياته، واما الحروب التي ربما أمكن أن يوقدوا نارها لا لأمر الدين الحق بل السياسة أو تغلب جنسي أو ملّي فهي خارج عن مساق الآية)(١٤).

ويشير الجزء السابق من الآية الى شكل من اشكال النصرة الإلهية الموجبة لإطفاء نار حروبهم على المسلمين، بإلقاء الاختلاف بينهم قال تعالى ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ٦٤] وفي آية أخرى ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤] وهذا الاختلاف والتنازع نتيجة طبيعية لتوجهاتهم المادية وأنانياتهم وعدم تورعهم عن ارتكاب أي وسيلة لتحقيق أهدافهم وحب الاستعلاء والسيطرة ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

إن كل هذه الألطاف الإلهية تؤكد حقيقة ان المؤمنين هم بعين الله تعالى وانه تبارك وتعالى معهم ويدبّر شؤونهم، وإن نسبت هذه التدابير غفلةً أو جهلاً أو عناداً الى الحظ او الصدفة وغيرهما،

التتمة في الصفحة الثالثة

(١٢) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مجلس بحثه يوم الاثنين ٢٥/شعبان/ ١٤٤٣ الموافق ٢٨ /٣ /٢٠٢٢ بمناسبة قرب حلول شهر رمضان المبارك.

(١٣) تفسير العياشي: ج١ ، ٣٣٠

(١٤) الميزان في تفسير القرآن: ٦ /٣٦

وهذه الألطاف الإلهية من الرعاية الخاصة غير تسيير الخلق بعنايته تعالى وسننه وقوانينه، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحلّ العقود ونقض الهمم)(١٥).

وأغراض الحروب وأهدافها وإن كانت ثابتة تقريباً منذ القدم وهي التي ذكرناها آنفاً إلا أن أنماطها مختلفة من حيث خططها وميادينها والتقنيات والأدوات المستعملة فيها وآثارها وتداعياتها وهي متغيرة بحسب التغيرات في عالم البشر.

وقد صنف المختصون في العلوم الحربية الحروب إلى عدة أجيال تطورت اليها عبر التاريخ بلحاظ المتغيرات الآنفة.

فالجيل الأول: هي الحروب القديمة بالسيف والرمح والسهم واستخدام الخيول والعربات والمعدات الحربية الأخرى وقد امتدت إلى العصور الوسطى.

والجيل الثاني: هي حروب الأسلحة النارية والمدفعية.

ثم تلاهما الجيل الثالث والرابع ويختلف معها من حيث الخطط والأدوات التي تعتمد إنهاك العدو واستنزاف قدراته المادية والمعنوية حتى ترغمه في النهاية على الانصياع لشروط المنتصر وتُستخدم فيها الاتصالات والإعلام والحرب النفسية والطابور الخامس وحرب العصابات وإضعاف الثقة بالنفس وبالقيادة فلا يوجد للحرب ميدان واحد كما في الجيلين الأول والثاني.

ويعيش العالم اليوم حرب الجيل الخامس، وقد أُلّفت كتب ونشرت مقالات في خصائص هذا الجيل من الحروب وآلياته وتأثيراته.

ويمكن أن نشير إلى عدد من واجهات هذه الحرب وأدواتها ليلتفت المسلمون إلى الأخطار التي تواجههم، وليعرفوا ان هذه الحالات والأوضاع المأساوية التي يمرون بها ليست ظواهر جزئية مشتتة حصلت قضاءً وقدراً وإنما هي خطط في منظومة كاملة من إدارة الصراع يتحالف القائمون عليها من أجل تحقيق أهدافهم مع أنظمة رسمية أو كيانات غير رسمية كفصائل المتمردين والجماعات القومية أو الانفصالية أو القبلية ومؤسسات ووسائل إعلامية وعصابات خارجة عن القانون.

ومن أدوات هذه الحرب:

١- الغزو الثقافي والفكري لتغيير طرق تفكير الناس وطمس هويتهم والانقلاب المفاهيم عندهم بحيث يرون مبادئهم ومعتقداتهم وأخلاقهم تخلفا ورجعية وكبتا وتضييقاً للحريات الشخصية ونحو ذلك حتى تتحقق تبعيتهم لثقافة العدو وافكاره ونظرته الى الحياة ويصبح العوبة تسيّرها أيدي الاعداء وهو ما حذّر الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أمته منه بقوله: (كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)(١٦).

٢- تمزيق وحدة المجتمع ونسيجه بإثارة التعصبات الطائفية والقومية والجغرافية والعشائرية والسياسية وسائر الانتماءات الأخرى حتى على مستوى مباريات كرة القدم التي تؤجج صراعات مقيتة حتى تستنزف قدراته وتشغله بهذه الصراعات الهامشية والمناكفات التافهة عن العدو الحقيقي الذي يسعى للقضاء عليهم.

٣- تغذية الارهاب والترويج له لخداع مزيد من الشباب الضائعين ودعم الجماعات الارهابية مادياً ومعنوياً وتيسير وصول المخدوعين الى المناطق التي يحددونها للصراع وهي بلاد المسلمين خاصة وهم بذلك يحققون اهدافاً عديدة: إضعاف النظام السياسي في بلاد المسلمين لإجباره على الخضوع لإرادتهم وتنفيذ سياساتهم، واستنزاف قدرات المسلمين في هذه الصراعات، وخلق فتن وازمات تمزقهم من خلال تبادل الاتهامات وتحشيد كل طرف ضد الآخر للدفاع عن هويته ووجوده، وتخليص بلادهم من وجود هؤلاء الارهابيين والتكفيريين والقاء شرهم على اخوانهم المسلمين.

٤- الحرب الاقتصادية من خلال المقاطعة وفرض الحصار الاقتصادي وخلق أزمات اقتصادية تزيد من نسبة الفقر ولا يجد الشعب ما يسدّ رمقه واغراق الدولة بالديون فتضطر الحكومة الى إيقاف برامج التنمية والرفاهية والخدمات الأساسية فيؤدي ذلك إلى رهن القرار السياسي بإرادة المستكبرين وفرض سياسات تخدم مصالح الدول المتحكمة من خلال المؤسسات الدولية المالية المانحة للقروض بشروط والتحكم بالسوق من خلال الاحتكار أو اغراقه بالبضائع مما يؤدي إلى إيقاف عجلة العمل

وتعطيل الإنتاج فيرهق ميزانية الدولة بالاستيراد وارتفاع معدل البطالة مما يسبب اختلالات اجتماعية كبيرة تكون سبباً للجرائم والسرقات.

وتدخل في هذا الصنف الحرب المالية أيضاً بتخفيض قيمة العملة الوطنية وإضعافها حتى تفقد قدرتها التنافسية مع العملات الأخرى وتزداد أسعار المواد الغذائية والأساسية فيعجز المواطن عن تلبية احتياجاته ويؤدي الى كساد السوق وتسريح العاملين وتفشي البطالة والفقر، وهذا ما حصل في العراق مع بداية عام ٢٠٢١.

٥- حرب المياه التي هي شريان الحياة والتنمية والاستقلال، وشحة المياه تؤدي الى تهديد الأمن الغذائي وفقدان الاستقرار والحياة الكريمة ويؤدي الى انحسار الزراعة وازدياد البطالة والاستيراد من الخارج وما يترتب على ذلك من اخطار جمّة.

٦- الحرب البايولوجية باستخدام سلالات من الجراثيم والفيروسات لإحداث أمراض تهدد حياة البشر والحيوان والنبات وقد ابتلي العراقيون بهذه الأسلحة خلال عدة حروب عانوا منها خلال العقود الأخيرة.

٧- حرب البيئة: حيث استخدم سلاح التغييرات البيئية لتهديد الأمن البيئي واستقرار المنظومة الزراعية والبيئية بإحداث بعض الظواهر الطبيعية المصطنعة مما يحدث التلوث والتصحر والاحتباس الحراري وأمثالها من التغيرات البيئية الخطيرة.

٨- حرب المخدرات بترويج تجارتها وتعاطيها لتخدير العقول وتدمير الأجساد بواسطة عصابات ومافيات وهي اخطر الحروب وتستهدف الشباب بدرجة أساسية لتلقي بهم في أودية الضياع والهلاك وتقويض بنية المجتمع من أساسها وتحوّلهم من طاقات منتجة مثمرة إلى مجرمين، وقد استهدفت المجتمعات الإسلامية بهذا الداء الفتاك وانتشر في أوساطها ولازلنا نسمع يومياً بإلقاء القبض على عدد من تجار المخدرات بحيث يبلغ عددهم سنوياً بالآلاف، فكم يا ترى عدد المتعاطين؟

٩- إقامة القواعد العسكرية بعنوان توفير الحماية من التهديدات الخارجية أو الإرهابية الا أنها سرعان ما تتحول إلى أداة لفرض الإرادة والتدخل في القرار السياسي والسيطرة على الثروات وتجنيد العملاء.

وبالنسبة للمعالجات ومواجهة هذا الجيل من الحروب فلا شك أنها تقع بشكل رئيسي على مسؤولية الحكومة فان واجبها حفظ أمن الدولة والمواطن بكل اشكاله الشخصي والبيئي والغذائي والاجتماعي والاقتصادي وغيرها، من خلال إقامة الحكم الرشيد الذي ينال ثقة الشعب ويجعله مدافعا عن حكومته ومسارعاً إلى المشاركة في الانتخابات ليختار الثلة الصالحة القادرة على حسن إدارة البلاد.

وهنا يبرز دور الحوزة العلمية والنخب المثقفة في توعية الشعب وتنبيهه الى هذه المخاطر وكيفية مواجهتها وقد لمسنا الآثار المباركة لإطلاق حملة مكافحة المخدرات خلال شعبان الحالي وفي الزيارة الشعبانية ولازالت مستمرة فعلينا تفعيل هذه المبادرات في جميع الاتجاهات ليتحقق وعد الله تعالى بإطفاء النيران التي يوقدها اعداؤهم، ولا شك ان شهر رمضان فرصة عظيمة للقيام بهذه المسؤولية بلطف الله تعالى وتأييده.

(١٥) نهج البلاغة: القسم الرابع، الحكمة ٢٥٠

(١٦) التهذيب ج٦ ، ص ١٧٧ ، ح ٣٥٩

والآية تخبر عن نبله وشهامته اذ تقول ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤] أي لم ينتظر منهما أي جزاء، لكنه عرف أن الشيخ الكبير رجل صالح فعلاً أبى أن يمر هذا العمل بدون مكافأة جزاءاً وإن تطوع به صاحبه لتشجيع المجتمع على فعل الإحسان، واستطاعت البنت أن تعطي صورة عن إخلاق والدها ووجدت في ذلك مبرراً لدعوة موسى (عليه السلام) إلى دارهم.

ولأجل التمسك بهذا الشاب القوي الغيور العفيف والأسرة بحاجة إلى مثله للقيام بمسؤولياتها ولأنه لا يمكن أن يبقى ضيفاً إلى الأبد اقترحت البنت على أبيها أن يستأجره، معللة استفادتها من أبيها الصالح ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] وعرفت قوته من إخراجه دلو الماء الكبير -أو رفع الصخرة كما في بعض الروايات- لوحده بينما يجتمع عدد من الرجال لإخراجه(٦)، وعرفت أمانته من تقدمه في المشي على البنت حينما اخذته إلى والدها ولم يماشيها ولا جعلها تتقدم عليه خشية أن تظهر الريح معالم جسمها(٧).

وهاتان الصفتان أهم عناصر الإدارة الناجحة، فالقوي هو المتمكن من عمله الضابط له المحيط بتفاصيله بمهنية وحرفيّة ويمتلك الخبرة الكافية فيه، والأمين هو المخلص الذي يكون همّه رضا الله تعالى وخدمة الناس وحفظ المصالح العامة، فعلى المتصدين لإدارة أمور الناس أن يتصفوا بهاتين الصفتين، وعلى الأمة أن تتحقق من وجودهما في من ينتخبونه للسلطة والإدارة في جميع مواقعها.

فعرض الأب الشيخ الكبير على موسى (عليه السلام) أن يزوجه احدى ابنتيه والظاهر أنها المتحدثة وفي هذا درس للآباء أن لا يترددوا في عرض التزويج على الشاب المؤمن المهذب الذي يُكرّم المرأة، وجعل مهر زوجها أن يقوم بمسؤوليات الأسرة ثمان سنين، فان أتمها عشراً فهو تبرع منه، ووافق موسى (عليه السلام) وهكذا وجد موسى (عليه السلام) بركة حركته البسيطة حينما ساعد المرأتين بما يصلح شاهداً للمثل الشعبي (الحركة بركة)، وتحققت له مطالبه بتوكله المطلق على الله تعالى فهو من أول خروجه كان يقول ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وببركة العفاف والأمانة والغيرة على حرمات الله تعالى ونصرة المستضعفين -ولو بعمل بسيط كسقي دلو ماء- حيث وجد الأمان والطمأنينة ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥] والرزق المضمون (ثماني حجج) أي سنوات، مما يعني ان الحج كان شعيرة عالمية معروفة يومئذٍ، والسعادة والزوجة الصالحة ﴿أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧] بعد أن كان غريباً مطارداً خائفاً جائعاً وحيداً.

ووجدت البنت ببركة عفافها وحيائها وحكمتها السعادة وراحة البال وزوجاً صالحاً وراعياً أميناً لأسرتها حيث عاشت في ظل رسول كريم من أولي العزم.

وكان في هذا التدبير الإلهي لموسى (عليه السلام) برعاية الأغنام تدريباً لموسى (عليه السلام) على سياسة الناس ورعايتهم والحرص عليهم ومداراتهم كما حصل للأنبياء الآخرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وهنا لطيفة قرآنية ينبغي الالتفات إليها وهي تأثير الاتصاف بالخصال الكريمة في سمو مكانة الإنسان وعلّو مقامه وارتفاع قيمته، فإن هذه البنت اكتسبت بالعفة والحياء قيمة كبرى بحيث يكون مهرها أن يخدم النبي العظيم موسى (عليه السلام) كليم الله أسرتها ثمان سنوات وهو تشريف عظيم بلا شك، وهكذا تزداد منزلة الإنسان عند الله تعالى وعند الناس بمقدار ما يتحلى به من الصفات الكريمة والسلوك الحسن، وقد لخص أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الحقيقة بقوله (قيمة كل امرئ ما يحسنه)(٨).

وقد أوضحنا في قبس سابق ان العفة لا تقتصر على السلوك تجاه الجنس الآخر بل تعم كل سلوك الإنسان كعفة اللسان واليد والرجل والعين والبطن بل والقلب أيضاً.

وهذه الحقيقة لم يلتفت إليها الأديب المشهور أبو العلاء المعري حين وجّه إشكالاً إلى الشريعة المقدسة بقوله:

يد بخمس مئين عسجد وُدِيَت
ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض مالنا إلا السكوت له
ونستعيذ بمولانا من النار

أي ان الشارع المقدس فرض دية اليد اذا قطعت بجناية هي خمسمائة دينار ذهبي يدفعها الجاني، فلماذا جعل الشارع المقدس حكم القطع عليها اذا ارتكبت سرقة لربع دينار من الذهب وهل هذا الا تناقض؟

وكان الجواب:

عز الأمانة أغلاها، وأرخصها
ذل الخيانة، فافهم حكمة الباري(٩)

وتصرح الأحاديث الشريفة بعظمة صفتي العفة والحياء وأثرهما في سعادة الإنسان وصلاحه ونجاحه في الدنيا والآخرة، وتقرن أحاديث أخرى بينهما كقول النبي (صلى الله عليه وآله) (إن الله يحب الحيي المتعفف)(١٠) وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (على قدر الحياء تكون العفّة) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) (العفة رأس كل خير) وعنه (عليه السلام) قال (بالعفاف تزكو الأعمال) وقال الإمام الباقر (عليه السلام) (ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج) وقد تناولنا الموضوع مفصلاً في كلمات سابقة وجعلنا يوماً باسم العفاف في ذكرى ميلاد العقيلة زينب (عليها السلام).

وورد في الحياء مثل ذلك كقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) (الحياء لا يأتي إلا بخير)(١١) وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (الحياء مفتاح كل خير) ويوصي الإمام الصادق (عليه السلام) شيعته بقوله (عليكم بالحياء، والتنزه عما تنزّه عنه الصالحون قبلكم) ويوصي الإمام الكاظم (عليه السلام) قائلاً (استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم) بل عليه أن يستحي من نفسه وإن كان بعيداً عن الناس، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (أحسن الحياء استحياؤك من نفسك)، فقد يكون الانسان في خلوة من الناس ولا يفعل القبيح لأنه يستحي من نفسه ويُنزّهها عن مثله.

ولأهمية هاتين الخصلتين الكريمتين بالنسبة للنساء فقد أعطى الله تبارك وتعالى للنساء تأييداً إضافياً بهما، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (الحياء عشرة أجزاء، فتسعة في النساء وواحد في الرجال) وفي دعاء الإمام الحجة (عجل الله فرجه) في زمن الغيبة الذي أوّله (اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبُعد المعصية) ثم خصّ فيه كل شريحة بوظيفتها الرئيسية في زمن الغيبة كالعلماء والأمراء والأغنياء والفقراء وبما يصلحها بلسان الطلب من الله تعالى ان يتفضل عليهم بتلك الخصال إلى أن قال (عليه السلام) (وعلى النساء بالحياء والعفّة).

نسأل الله تعالى ان يُحسّنَ خُلقنا بمحاسن الأخلاق كما حسّن خَلقنا وجعلنا في أحسن تقويم أنه ولي النعم.

(٥) روى في (الدر المنثور: ٥/١٢٥) انه لما دخل موسى (عليه السلام) على شعيب وكان على العشاء فقال له: كُلْ، قال موسى (عليه السلام): أعوذ بالله، قال: ولِمَ ألست جائعاً؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وإنّا من أهل بيت لا نبتغي شيئاً من عمل الآخرة بملئ الأرض ذهباً! قال: لا والله ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى (عليه السلام) وأكل.

(٦) في (نور الثقلين: ٤/١٢٠) عن تفسير القمي رواية عن الامام الباقر (عليه السلام) وفيها أن الدلو يرفعه عشرة رجال.

(٧) في المجمع عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ان موسى (عليه السلام) قال للمرأة: (امشي خلفي فأنا أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك) وروى في كتاب كمال الدين وتمام النعمة قريباً منه، وفي رواية أخرى عن الامام الرضا (عليه السلام) (بحار الأنوار: ١٣ /٤٤).

(٨) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨١.

(٩) نسب العلامة المجلسي (قدس سره) في (بحار الأنوار: ١٠٤ /٩) ، الجواب الى السيد المرتضى (قدس سره) عن عدة مصادر وفي كتب أخرى ان القاضي عبدالوهاب المالكي رد على المعري بأبيات وذكر فيها هذا البيت، ولعله للسيد المرتضى وأضيف سهواً إلى أبيات المالكي لأنها جميعاً بنفس الوزن والقافية.

(١٠) تجد هذه الأحاديث وغيرها في ميزان الحكمة للريشهري: ٦ /٧٢-٧٤

(١١) تجد هذه الأحاديث وغيرها في ميزان الحكمة للريشهري: ٢ /٥٠٩

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول (صلى الله عليه وآله) أو على عنوان البريد الألكتروني: ...com
موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي